

تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر في كتابات المستشرقين الالمان
**History of modern and contemporary Algeria in the writings
of German Orientalists**

مخلوفي الزهرة¹

¹كلية العلوم الانسانية - قسم التاريخ- جامعة الجزائر-2- ابو القاسم سعد

الله

تاريخ الاستلام: 2023/05/19 تاريخ القبول: 2023/05/23 تاريخ النشر: 2023/06/04

الملخص :

يهدف هذا المقال الى الكشف عن اهمية المستشرقين الالمان في كتابة تاريخ الجزائر ، بداية 'قدمنا نبذة مختصرة عن جذور الاستشراق الالمانى واهم المستشرقين الالمان الذين ساهموا في كتابة التاريخ العربي والاسلامي عامة والتاريخ الجزائري خاصة. ثم تطرقنا الى اهم الرحالة الالمان الذين زاروا الجزائر وكتبوا عنها من خلال كتاب " الجزائر في مؤلفات الرحالين الالمان (1830م- 1855م) لابي العيد دودو ، كما حاولنا ابراز اهمية هذه الرحلات في تجسيد صورة الاخر وما مدى مطابقة هذه الصورة للواقع الجزائري من عدمه.

Abstract:

This article aims at revealing the importance of the importance of German orientalists in writing the history of Algeria. First, we presented a brief overview of the roots of German orientalism and the most important German orientalists who contributed to writing Arab and Islamic history in general and Algerian history in particular. Then we touched on the most important German travelers who visited Algeria and wrote about it from Through the book "Algeria in the writings of German travelers (1830 AD-1855 AD) by Abu Al-Eid Dudu, we also tried to highlight the importance of these trips in embodying the

مخلو في الزهرة

image of the other and the extent to which this image corresponds to the Algerian reality or not.

تمهيد:

عرف العرب والاسلام والمسلمين حركة فكرية غربية مضادة لهم ، وهذا ما سمي بالاستشراق ، حيث اعتبر هذا الاخير مسؤولا مسؤولية مباشرة عن عملية الغزو الفكري والثقافي والسياسي المتواصل للثقافة العربية والاسلامية . اذ لا يكاد يخلو مجال من مجالات الحياة من اثر الفكر الاستشراقي . وعن طريق الاستشراق يحاول الغرب جاهدا المحافظة على مكاسبه التي طالت جل المجالات الحياتية التي جناها خلال المرحلة الاستعمارية ، وكذا محاولته لتوسيع دائرة نفوذه و توجيه الحياة الشرقية عامة والاساسية خاصة وجهة غربية .

ومما لا شك فيه ان الفكر الاستشراقي بدا بالبحث عن نفسه نتيجة تلاقي حضارتين كتب لهما ان تنشا و تزدهرا في رقعة جغرافية متقاربة ، وكل منهما لها ديانتها الخاصة .

تعتبر ظاهرة الاستشراق ظاهرة مهمة جدا لعبت دورا مهما في التغيير والتاثير على فكر الامم الاخرى وكذا لعبت دورا مهما جدا في الحركة الاستعمارية التي شنتها الدول الغربية على الدولة العربية والاسلامية .
تعريف الاستشراق :

- الاستشراق لغة: لفظة "استشراق" مصوغة على وزن استفعال، وهي مأخوذة من كلمة شرق وأضيف إليها ثلاثة حروف: (الألف والسين والتاء)، ومعناها طلب الشرق، أي طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه وجاء في "المعجم الوسيط" "شرقت الشمس شرقاً وشرقاً إذا طلعت"¹ وفي لسان العرب: شرق: "شرقت الشمس تشرق شروقاً وشرقاً: طلعت، واسم الموضع: المشرق... والتشريق: الأخذ في

¹ المعجم الوسيط: ج 1، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص 482

تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر في كتابات المستشرقين الألمان

ناحية المشرق، يقال: شتان بين مشرق ومغرب، وشرقوا ذهبوا إلى الشرق، وكل ما طلع من المشرق فقد شرق، وفي الحديث: " لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا"

أما في اللغات الأوروبية فالمقصود بالشرق ليس الشرق الجغرافي وإنما الشرق المقترن بمعنى الشروق والضيء والنور والهداية. ويرى البعض أن كلمة استشرق لا ترتبط فقط بالشرق الجغرافي وإنما تعني أن الشرق هو مشرق الشمس ولهذا دلالة معنوية بمعنى الشروق والضيء والنور بعكس الغروب بمعنى الأفول والانتهاء.²

واللفظ ORIENT في الدراسات الأوروبية يشير إلى منطقة الشرق المقصودة بالدراسات الشرقية بكلمة " تتميز بطابع معنوي وهو Morgenland : وتعني بلاد الصباح، ومعروف أن الصباح تشرق فيه الشمس، وتدل هذه الكلمة على تحول من المدلول الجغرافي الفلكي إلى التركيز على معنى الصباح الذي يتضمن معنى النور واليقظة، وفي مقابل ذلك نستخدم في اللغة كلمة Abendland وتعني بلاد المساء لتدل على الظلام والراحة"

وفي اللاتينية تعني كلمة Orient: يتعلم أو يبحث عن شيء ما، وبالفرنسية تعني كلمة Orienter وجه أو هدى أو أرشد، وبالإنجليزية Orientation ، وorientate تعني "توجيه الحواس نحو اتجاه أو علاقة ما في مجال الأخلاق أو الاجتماع أو الفكر أو الأدب نحو اهتمامات شخصية في المجال الفكري أو الروحي".³ وبذلك يتبين أن مصطلح الاستشرق ليس مستمدًا من المدلول اللغوي، بل من المدلول المعنوي لشروق الشمس التي هي مصدر العلم.

² السيد محمد الشاهد: الاستشرق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، الاجتهاد، ع 22، السنة السادسة، 1994م، ص 191-211

³ مازن بن صلاح مطبقاني: الاستشرق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1995، ص 3

مخلوفي الزهرة

المفهوم الاصطلاحي:

إن مفهوم الاستشراق *orientalism* يعني: "علم الشرق أو علم العالم الشرقي" وعرف البعض الاستشراق أيضاً بأنه: "ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته" ⁴ وهو أيضاً "أسلوب للتفكير يرتكز على التمييز المعرفي والعرقى والأيدلوجي بين الشرق والغرب". و يمكننا القول انه "ذلك العلم الذي تناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل من قبل علماء الغرب.

ويرى الطيب بن إبراهيم أن الاستشراق لا يعتبر تاريخاً أو جغرافياً فقط، ولا إنسانياً أو ثقافة فحسب، وإنما هو مجموع ذلك كله، فهو مكان وزمان وإنسان وثقافة. والحديث عن الاستشراق مرتبط ارتباطاً عضوياً وتكاملياً مع هذه العناصر الأربعة الأساسية، إذ لا بد له من مسافة زمنية ومساحة مكانية ونوع إنساني وإنتاج ثقافي وفكري.⁵

وبصفة عامة يمكن تعريف الاستشراق بأنه: "أسلوب من الفكر قائم على تمييز وجودي ومعرفي بين الشرق والغرب، ويستخدم دراسات أكاديمية يقوم بها علماء غربيين للإسلام والمسلمين من شتى المجالات العقيدة والشريعة والثقافة والحضارة والتاريخ والنظم والثروات والإمكانات، سواء أكانت هذه الشعوب تقطن شرق البحر الأبيض أم الجانب الجنوبي منه، وسواء أكانت لغة هذه الشعوب العربية أم غير العربية "كالتركية والفارسية والأوردية" وغيرها من اللغات، لأهداف متنوعة ومقاصد مختلفة".

ومع أن مصطلح الاستشراق ظهر في الغرب منذ قرنين من الزمان على تفاوت بسيط بالنسبة للمعاجم الأوروبية المختلفة، لكن الأمر المتيقن أن البحث

⁴ ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي، ج 1، دارالمدار الإسلامي، بيروت، 2002، ص 20

⁵ الطيب بن إبراهيم: الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر دار المنابع للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004

تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر في كتابات المستشرقين الالمان

في لغات الشرق وأديانه وبخاصة الإسلام قد ظهر قبل ذلك بكثير، ولعل كلمة مستشرق قد ظهرت قبل مصطلح استشرق، فنجد آربري في بحث له في هذا الموضوع يقول "والمدلول الأصلي لاصطلاح (مستشرق) كان في سنة 1638 وفي سنة 1691 وصف أنتوني وود Anthony Wood صمويل كلارك Samuel Clarke بأنه (استشراقي نابه) يعنى ذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية. ويبرون في تعليقاته على (Childe Harold's Pilgrimage) يتحدث عن المستر ثورنتون وإلماعته الكثيرة الدالة على استشرق عميق.⁶

أما المفكر إدوارد سعيد فيعرف الاستشرق بأنه: "نمطاً من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة السيطرة عليه" ⁷ ويرى د. رضوان السيد " ان الاستشرق يتناثر ويدخل في تخصصات متباينة كالتاريخ والسوسيولوجيا والأنثروبولوجيا والاقتصاد والسياسة، ولم يعد هناك عالم واحد اسمه الاستشرق، بل هناك عوالم متباينة يحمل كل منها عنوان المجال الذي يهتم به، فإذا كانت مفاهيم الشرق والعالم الثالث والشرق الاوسط متباينة وغير علمية، فان مفهوم الاستشرق صار اليوم كذلك ⁸ أما المستشرق فهو: "عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه.⁹

ويذكر المستشرق رودنسون أن كلمة مستشرق ظهرت في اللغة الإنجليزية نحو عام 1779م كما دخلت كلمة الاستشرق معجم الأكاديمية الفرنسية في عام 1838م وفيها تجسدت فكرة نظام خاص مكرس لدراسة الشرق.¹⁰ ويعتمد المستشرق الإنجليزي آربري علي قاموس اكسفورد الجديد المستشرق بأنه "من

⁶ ج آربري: المستشرقون البريطانيون. تعريب محمد الدسوقي النوبي. (لندن: وليم كوليز، 1946) ص8.

⁷ - دوارد سعيد: الاستشرق، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة السابعة، 2005، ص 120

⁸ رضوان السيد: مجلة الفكر العربي، العدد: 31، ص9

⁹ يحيى مراد: أسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، بيروت 2004، ص6.

¹⁰ مكسيم رودنسون: صورة العالم الإسلامي في أوروبا، دار الطليعة، 1970، ص 74.

مخلو في الزهرة

تبحر في لغات الشرق وآدابه".¹¹ وقد ورد في موسوعة "لاروس" تعريف المستشرق في مادة Orientaliste "بأنه العالم المتضلع في معرفة الشرق وثقافته وآدابه"¹²، أما ألبرت ديتريش فيعرف المستشرق بأنه "ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه، ولن يتأتى له الوصول إلى نتائج سليمة في هذا المضمار ما لم يتقن لغات الشرق".¹³

جذور الاستشراق الألماني:

من المعروف أن ألمانيا اهتمت بدراسة الشرق على غرار باقي الدول الغربية؛ إذ تعود الجذور الأولى لاتصال ألمانيا بالشرق وبالغرب والمسلمين إلى أيام "الحروب الصليبية الثانية (1147م ، 1149م) ، فقد كان الألمان حينها من المشاركين في الحج إلى الأراضي المقدسة، حيث قدموا وصفا لتلك البلاد ونقلوا شيئا من حضارتها بعد عودتهم إلى الديار، كما شاركوا الرهبان في الترجمة عن العربية في الأندلس".¹⁴ من هنا بات من الطبيعي أن ينصرف الألمان إلى دراسة تراث الشرق انطلاقا من دراسة اللغات الشرقية بعد أن بدأت هذه الدراسات تحظى باهتمام العلماء في فرنسا وإنجلترا". ففي هاته الحقبة لم تظه بعد بوادر الاستشراق الألماني مقارنة بالاستشراق الفرنسي والانجليزي اللذان انطلقا مبكرا ، ومن هنا فإنَّ الاستشراق الألماني في هاته الفترة مقارنة بنظيره الفرنسي أو الانجليزي لا يزال فتيا أمامهما أو بصورة أخرى لم يولد بعد "ففي القرن الرابع عشر والخامس عشر للميلاد انعقدت النية على إنشاء كراسي لدراسة اللغات الشرقية في ألمانيا، فكانت

¹¹ آربري: المرجع السابق، ص 7. كمو

¹² انظر مادة Orientaliste في موسوعة لاروس الكبرى، باريس 1962م. Grad encyclopedique paris. Lareusse.

¹³ محمد كرد علي: اثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية، المجمع العربي 1927.

¹⁴ نجيب العقيلي، المستشرقون (موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراسهم عنه) ، دار المعارف ، مصر ط3، 1964م، ج2، ص678.

تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر في كتابات المستشرقين الألمان

تلك النية متزامنة مع إنشاء الجامعات الألمانية التي تأخر تأسيسها في ألمانيا عن بقية بلدان أوروبا¹⁵

و هذا التأخر جعل من واقع الدراسات الاستشراقية الألمانية في القرن السادس عشر ميلادي حقلا متواضعا لكن لم يبق هذا الوضع كذلك حيث أخذت تلك الدراسات تتطور شيئا فشيئا حتى أصبحت فرعاً مستقلاً عن العلوم النظرية و متأصلة في أفق الثقافة الألمانية.

يمكننا أن نعتبر هذا القرن بداية تبلور الاستشراق الألماني، لأنّ الدّراسات الشرقية في وقتها لاقت اهتماما واضحا خلال هذه الفترة وهذا يعود للأهداف العلمية التي قامت بها شخصيات ألمانية والتي كان لها دور تأسيسي لتلك الدراسات، وعُرفت تلك الشخصيات باسم: "أساتذة اللغات الشرقية.

حيث اختص هؤلاء الأساتذة بتعليم اللهجات الشرقية، بالإضافة إلى اللغة العربية والسريانية وغيرها من اللغات السامية" الأخرى ،كما اهتموا بتراث الشرق من أقصاه إلى أدناه .

يرى كثيرون أنّ الخطوات الأولى للاستشراق الألماني في القرن(السادس عشر) اقتصرت على جمع المخطوطات الشرقية، وتخصيص كراسي لتدريس اللغات الشرقية في الجامعات ويرى البعض أنّ "الإصلاح الديني على يد مارتن لوتر سنة(1521م) كان له أثر في تغيير تلك التوجهات، التي تحدت بتركها العالم الديني والثقافي للكاتوليكية، وهذا يعني أنّ المقام العلمي في ألمانيا قد بدأ يتحرّر نوعا ما من سيطرة الكنيسة ورجالها، وفي هذا القرن تجمع المصادر أن اعتماد المستشرقين الألمان لدراسة الشرق قائم أساسا على مخطوطات مكتبة بوستل (1501م- 1581م)، في مدينة فالنس، وهنا نشير أنّ الاستشراق الألماني لازال يفتقر لأبسط الميكانيزمات لكن هذا لم يمنع من بروز عدد من المستشرقين

¹⁵ عبد الله يوسف الشاذلي، الاستشراق (مفاهيم، صلات، جهود)، ط1، دت، ص 435

مخلو في الزهرة

ساهموا في تأسيس حركة الاستشراق هناك منهم: يعقوب كريستمان (1554م-1613م) الذي عمل على إنشاء كرسي للعربية في جامعة هايدلبرغ، واستطاع أن يدرك مقدار الصلة الوثيقة بين العربية كلغة وبين العلوم الأخرى كالطب والنجوم، لذا ترجم كتاب الفلك للفرغاني (721م)¹⁶.

يستنتج مما تقدّم أنه بالرغم من بعض الجهود الاستشراقية الألمانية (تأسيس مراكز يستنتج استشراقية في ألمانيا لدراسة اللغات الشرقية) في هاته الفترة من الزمن، إلا أنّ الاستشراق الألماني مازال عوده لم يستقم بعد وما زال لم ينطلق انطلاقته الفعلية؛ ذلك أن ألمانيا مازالت لم تؤسس الميكانيزمات التي يتكئ عليها مستشرقوها.

1- الاستشراق الألماني في القرن السابع عشر:

بخلاف ما تقدم جاء في دراسات أنّ بداية علاقة الألمان بالعالم الشرقي كانت في القرن السابع عشر، حين أرسل الدوق فريدريك الثالث Frederick III (1415م-1493م) اثناء حرب الثلاثين مجموعة من أربعة وثلاثين رجلاً إلى فارس وروسيا كي تتحالف مع إمبراطور فارس ضد الأتراك، ودامت الرحلة خمسة أعوام، ولكنّها لم تحقق الغرض الحربي المرجو منها، إلّا أنها حققت تواصلاً ثقافياً،¹⁷ كما ظهر بعض المستشرقين الألمان الذين اهتموا بالدراسات العربية منهم: اللاهوتي: "جوهان هوتنغر". فقد عمل فهرساً للمخطوطات الشرقية، وقام بنشره عام (1658م) في هايدلبرغ. حيث قام بعض المستشرقين الألمان بزيارة هولندا لمزاولة دراساتهم هناك فقد كانت هولندا إلى جانب فرنسا قد قطعتا شوطاً كبيراً في الدراسات الشرقية، وفي القرن نفسه أنشئت أول مطبعة للقرآن الكريم

¹⁶ محمد سعدون المطوري، تاريخ الاستشراق الألماني وملاحم من أسسه المنهجية، مجلة دراسات استشراقية، العراق، ع 2015، م 03، ص 193، 194.

¹⁷ سعد بوفلاقة، الاستشراق الألماني واثره في الدراسات العربية، مجلة بونة للبحوث والدراسات، كلية الآداب، جامعة عنابة، الجزائر، ع 14/13، ديسمبر 2010، ص 49.

تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر في كتابات المستشرقين الألمان

بحروف عربية ، و كان القائم على تلك الترجمة : ابراهام هنكلمان ABRAHAM, HINCKLMAN، في مدينة هامبورغ HUMBURG ، وتم طباعتها بمطبعة SCHULTZIO SHILLERLLRIAN سنة (1106هـ / 1694م). وبالرغم من الجهود التي قام بها كل من هنكلمان وهوتنغر إلا أنه في هذا القرن لم تكن هناك دراسات ذات معالم واضحة تؤرخ لبداية فعلية للاستشراق الألماني.¹⁸

2- الاستشراق الألماني في القرن الثامن عشر:

بعدما تعرّفنا على واقع الاستشراق الألماني في القرن السابع عشر سنحاول أن نتعرف على أهم ما جرى عليه من تطورات في القرن الثامن عشر مبرزاً لأعمال بعض المستشرقين الألمان الذين اهتموا بدراسة الشرق فقد عرف القرن الثامن عشر تيارين ثقافيين كبيرين مستقلين ومتواصلين في الوقت نفسه تيار الرومانسية، وتيار التاريخانية الأكاديمية، وكان الشاعر الألماني الكبير فولف غانغ غوت Wolfgang von Goethe (1749م - 1832م)، أحد كبار الرومانطيين بالإضافة الى ما قام به فريدريش ريكرت (1788م-1866م) الذي "ترجم مقامات الحريري حيث تعتبر من أهم الأعمال الأدبية التي حظيت باهتمام المستشرقين الألمان".¹⁹

كانت بداية الاستشراق الألماني الحقيقية في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي، عندما قصد بعض من المستشرقين الألمان هولندا أين تعلموا اللغات الشرقية حيث أخرجوها من إطار الكنيسة الذي كان سائداً فيها فترة طويلة إلى ميدان الثقافة العامة، ومن أشهرهم: رايسكه في جامعة ليبزيغ ، الذي يعتبر مثالا مهما في هذا القرن " حيث قام بجولة في هولندا لمعالجة المخطوطات العربية في

¹⁸ محمد سعدون المطوري، تاريخ الاستشراق الألماني وملامح من أسسه المنهجية، مرجع سابق، ص ص 196، 195

¹⁹ رضوان السيد، نشوء الاستشراق الألماني وتطورات المبكرة، جريدة العرب الدولية، ع: 9458، 2004م

مخلوفي الزهرة

جامعة ليدن (1738م) وكان ذا رغبة بدراسة الشعر العربي ، فجعل دراسة اللغة العربية مستقلة خلافا لما يراها بعض المستشرقين ، واهتم بشكل خاص بقصائد العرب الشهيرة في عصر ما قبل الإسلام ، وبالمعلقات وتعتبر الدراسات التي قام بها رايסקه المحاولات الأولى التي تعنى بدراسة أدب الشرق من غير غرض لاهوتي؛ ذلك أنها كانت بدافع معرفة آداب الشرق وعلومه.²⁰

3-الاستشراق الألماني في القرن التاسع عشر:

كانت فرنسا قطبا استشرافيا بفضل العلامة دي ساسي وهو أستاذ اللغة العربية والفارسية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس، قصده العديد من المستشرقين الألمان خلال القرن التاسع عشر ومن أشهرهم "فلايشير" (1801م-1888م) وهانريش إيفالد (1875م) ، وقد اعتبرا من مؤسسي الدراسات العربية في ألمانيا. باسهاماتهم في توسيع آفاق تاريخ الشرق وذلك عن طريق دراسة لغته وفك رموز لغاته البائدة، كما ساهموا في تقييم التراث العربي الإسلامي ، وتعريفه على نطاق عالمي".²¹ هاته الجهود جعلت من الاستشراق الألماني خلال هذه الفترة يزخر بالتنوع والتقدم في دراساته الشرقية، "فمن دراسة اللغات إلى جمع وتحقيق النصوص ثم دراسة جغرافيا البلدان الشرقية، والاهتمام بتاريخها وواقعها السياسي والاجتماعي ودور الأديان فيها، إلى الاهتمام بالقديم والتركيز على التراث العربي، فضلا عن استحداث المزيد من كراسي اللغات الشرقية في الجامعات الألمانية والمعاهد التي تعنى بالدراسات الاستشرافية.²²

و الملاحظ من خلال ما سبق ذكره أن الاستشراق الألماني يعتبر وليد الاستشراق الفرنسي؛ ذلك أنه حمل توجهاته وطابعه وإطاره المنهجي ومواقفه ولو بتفاوت و اختلافات طفيفة في الأهداف، و ذلك بسبب بسيطرة الكنيسة على

²⁰ محمد سعدون المطوري، تاريخ الاستشراق الألماني وملاحم من أسسه المنهجية، مرجع سابق، ص 196، 197

²¹ نجيب العقيقي، المستشرقون (موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه)، مرجع سابق، ص 679

²² محمد سعدون المطوري، تاريخ الاستشراق الألماني وملاحم من أسسه المنهجية، مرجع سابق، ص 197

تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر في كتابات المستشرقين الألمان

الاستشراق الألماني لفترات طويلة رغم الجهود التي قام بها بعض المستشرقين الألمان لجعله علما مستقلا قائما بذاته غير انه و للاسف فان معظم الدراسات الاستشراقية الألمانية في هذه الفترة مبنية على أسس محكوم على نتائجها منذ البداية من طرف رجال الحركة الدينية وخير دليل على ذلك حرمان رايסקه من موازلة دراساته الاستشراقية ؛ ذلك لأنه رفض الاستجابة لتلبية مطالب رجال الدين .

4-الاستشراق الألماني في القرن العشرين:

حظيت الدراسات الاستشراقية الألمانية في القرن العشرين الميلادي بنصيب من التخصص والمعاصرة بالنظر إلى طبيعة الموضوعات التي تناولتها مقارنة بالقرون الماضية، فمنهم من تخصص بدراسة بالعلوم التجريبية لدى المسلمين، ومنهم من تخصص في تاريخ الدولة الإسلامية ونظمها، ومنهم من اهتم بمجال الفرق الإسلامية، ومنهم من خصص جهده لدراسة التاريخ الإسلامي ففي هذا الصدد " يشير المستشرق الألماني (أودو شتاينباخ STEINBACH) , UDO في "دراسة عن مؤسسات البحث والمعلومات عن الشرق المرتبط بالعصر الحاضر في ألمانيا الاتحادية وبرلين الغربية" إلى بداية جديدة في علم الشرق المرتبط بالحاضر بعد عام 1945م خاصة في الجامعة الحرة في برلين الغربية²³."

غير أن الحرب العالمية الأولى أثرت تأثيرا سلبيا على الاستشراق بصفة عامة وعن الاستشراق الألماني بصفة خاصة ،لذا فقد أصابت ما أصابت من المستشرقين، كما أن فقدان ألمانيا لمستعمراتها في إفريقيا أدى إلى عرقلة مسيرته وتوجهه يقول بارت: "إنَّ ابتعاد الألمان عن كل ألوان المسيطرة التباسية على قطاع المستعمرات صفى الجو بين الألمان والشرقيين وأدى إلى تحول الدراسات الاستشراقية في ألمانيا إلى علم مجزأ عن الغرض تماما، وهكذا بقي الاهتمام

²³احمد حسن عبد السلام ، تاريخ الاستشراق الألماني وملاح من أسسه المنهجية،ص203

مخلوفي الزهرة

بمعالم الإسلام وبكل مظاهر النشاط فيه مستمرا قوياً بعد نهاية الحرب بل وازداد قوة بما أوتي من حافز جديد²⁴

نستنتج من قول رودى بارت أنَّ ألمانيا كانت لها مساعي استعمارية على غرار فرنسا وإنجلترا إلا أنَّ هزيمتهم في الحرب العالمية قطعت تلك المساعي وجعلت الاستشراق الألماني ذا أهداف جديدة ؛ أهداف تضفي صفة الموضوعية فقط لدى البعض هذا و يضيف بارت فيقول : "... لما جاءت الحرب العالمية الثانية بلغت بالمحنة قمةً أخرى أكثر ارتفاعاً، فقد اختطف الموت عدداً من المستشرقين " ، مما ضعف عود الاستشراق الألماني خاصة في الفترة القريبة لما بعد الحرب العالمية الثانية.²⁴

لقد تغير واقع الاستشراق الألماني مما كان عليه سابقا نتيجة التطور والتخصص في الموضوعات، ويمكننا أن نقول أن الاستشراقي الألماني حالياً تغربوت ملا محمد يتقرير تو بجهاله فمن دراسة الكلاسيكيات في الماضي إلى دراسة سياسات الشرق الحالية، هذا التقدم انعكس على اهتمامات الجيل الجديد من المستشرقين الألمان؛ إذ بدؤوا بمتابعة التطورات السياسية و الاقتصادية والاجتماعية في البلاد العربية، أضف إلى ذلك ظهور المنهج المقارن عندهم، والاهتمام المتزايد بالأدب الحديث وبالدراسات اللغوية المعاصرة ""، على خلاف دراسات الجيل القديم الذين كانوا يركزون أساساً على الأبحاث التقليدية والتاريخ القديم.

جاء عن بوبتسين أن ألمانيا حالياً "تتوقّر عن أكثر من خمس وعشرين معهداً تختص بالدراسات العربية والإسلامية، وهو يرى أن الطابع اللغوي يغلب على اتجاهاتها في جامعة ارلمان ERLANGEN ، توبان TOBINGEN ، كولن

²⁴ارودي بارت ، الدراسات العربية و الاسلامية في الجامعات الألمانية ، تر: مصطفى ماهر، ص 85، 86.

تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر في كتابات المستشرقين الالمان

COLOGNE لايبزيغ LEIPZIG وتختص بعض المعاهد بالاتجاه السياسي لتصب اهتمامها بالدرجة الأولى على سياسات العالم الإسلامي في الوقت الراهن.²⁵ إذن هاته التطورات في دراسة العالم الشرقي جعلت من الغرب بصفة عامة أكثر سيطرة على الشرق ، وحوّلت الغزو من غزو ذا طابع حربي إلى غزو فكري .

من أعلام الاستشراق الألماني:

1 - يوهان جاكوب رايسكه (1716م – 1774م) johann jakob reiske

تبرئ كثيرا من الدّراسات العربية النقدية يوهان ياكوب رايسكه من دائرة الإجحاف والافتراء، كما تعدّه معلما أساسيا في الدّراسات الاستشراقية الألمانية كونه "مؤسس الدراسات العربية في ألمانيا، فرايسكه بدأ تعليم نفسه العربية دون معونة أحد ثم درس في جامعة ليبزيغ Leipzig وانتقل إلى جامعة ليدن لدراسة المخطوطات العربية فيها، كما اهتم بدراسة اللغة 1 العربية والحضارة الإسلامية وإن كان له فضل في هذا المجال" فهو رفضه القاطع ربط الدراسات العربية الإسلامية بالدراسات اللاهوتية، ففي عصره كانت هاته الدراسات تسيطر عليها الكنيسة الغربية وهذا موقف ممتاز يحسب له كما سبق لنا ذكره.²⁶

تمكن من أن يتقن النحو العربي وتابع بعد ذلك اهتماماته بالمخطوطات العربية، فعندما استوعب كل المطبوعات العربية اتجه إلى البحث في المخطوطات فالتمس من يوهان كريستوف (1700 ، JOHAN CHRISTOFFم- 1766م) مصنف كتاب المكتبة العبرية أن يعيرة مخطوط مقامات الحريري

²⁵ ظافر يوسف، الاستشراق الألماني إلى أين؟ مجلة التراث العربي،(مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب)،السنة:

السابعة عشر،ع:68 ، اغسطس 1977م ، ص ص 137 ، 139

²⁶ مجموعة من الأكاديميين، موسوعة الاستشراق،(معاودة نقد التمركز الغربي ،وكشف التحولات في الخطاب ما بعد لكولينيالي)،دار الروافد الثقافية،بيروت،لبنان،ط01 ، 2015م،ص342،وينظر: مدرسة الاستشراق

الألماني،(org.marefa.www)

مخلو في الزهرة

والذي كان ضمن مجموعة مخطوطاته، فلتى طلبه، وقام في سنة 1737م بنشر المقامة السادسة والعشرين في نصها العربي مع ترجمة لاتينية، كما سافر أيضا إلى هولندا بعد علمه أن مكتبة ليدن غنية بالمخطوطات العربية، وكان كلما تعشق في الأدب العربي ازداد ولعه به واشتدَّ شوقه إلى الغوص فيه أكثر، ورغم ظروفه المادية الصعبة إلا أنه سافر وعمل مصححا في إحدى المطابع مقابل الإيواء، وفي الوقت ذاته عمل كمدرس اللغة اللاتينية للطلاب الهولنديين في جامعة ليدن، وقد اطلع في عام 1738م على المخطوطات العربية فسخ لنفسه قصائد جرير، ولامية العرب للشنفرى، وفي السنة التالية نسخ مخطوطة الحماسة للبحري، ثم التعليقات وخاصة معلقة طرفة بن العبد، كما قام في سنة 1747م بترجمة مقدمة كتاب (تقويم التاريخ) لحاجي خليفة.²⁷

2 - يوليوس فلهاوزن (1844م-1918م Jullius Wellhausen)

تخصص في دراسة التاريخ الإسلامي والفرق الإسلامية، ومن أبرز إنتاجاته تحقيق تاريخ الطبري، وألف كتاباً بعنوان: الإمبراطورية العربية وسقوطها، ومن اهتماماته بالفرق الإسلامية تأليف كتابيه: الأحزاب المعارضة في الإسلام وكتاب: الخوارج والشيعة".²⁸

3 - كارل هينريش بيكر (1876م-1933م Carl Heinrch Becker)

على غرار ما تناولناه من أعلام المستشرقين الألمان نواصل مع عَلمٍ آخر لا يقل أهميه عن سابقه، نظرا للدراسات التي قدّمها، وإن كانت تعتبر نقطة سوداء في الاستشراق الألماني. أما عن تكوينه وتعليمه فقد درس في جامعة لوزان وجامعة هايدلبرغ وجامعة برلين، وكان له اهتمام كبير بدراسة الأديان من هنا اتجه إلى الاهتمام بدراسة الدين الإسلامي، ويعد من أشهر المستشرقين الذين

²⁷ عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط. 1993، 03م، ص 298

²⁸ ينظر: مدرسة الاستشراق الألماني، www.marefa.org

تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر في كتابات المستشرقين الالمان

كتبوا في التاريخ الإسلامي والذين اهتموا بالدراسات الشرقية لأجل تحقيق أغراض سياسية، واهتم كذلك بدراسة التاريخ الاقتصادي والإداري في صدر الإسلام"، ومما تجدر الإشارة به أنّ المستشرق بيكر قام برحلات علمية كثيرة في أنحاء أوروبا "؛ حيث عمل فترة في مكتبة الأسكوريال بمدير (اسبانيا) ، واطلع على المخطوطات العربية فيها، وقد زار مصر وتعمق هناك بدراسة اللغة العربية كما تولى منصب أستاذ بمعهد هامبورغ الاستعماري الذي أنشأته 311 الحكومة الألمانية لمساعدتها في التعامل مع الشعوب العربية والإفريقية على وجه الخصوص.²⁹

4 - كارل بروكلمان (1868-1956م: Carl Brockelmann)

من أشهر المستشرقين على الإطلاق ، ومن أقدرهم وأعظمهم على التبحر في ثنايا التراث العربي والإسلامي؛ ذلك هو المستشرق الألماني الموسوعي كارل بروكلمان المولود بتاريخ السابع عشر من سبتمبر 1868م لعائلة بسيطة في مدينة روستوك، وظهرت موهبته في تعلم اللغات بسرعة في المدرسة الثانوية، ومضى في عام 1888م إلى ستراسبورغ للدراسة وتعلم على يد نولدكه ، وفي شتاء عام 1889م وضع العالم : نولدكه اختبارا لدراسة العلاقة بين كتابي (التأمل) لابن الأثير، و(أخبار الرسل والملوك) للطبري فتمكن بروكلمان من اجتياز هذا الاختبار ونال درجة الدكتوراه في الفلسفة عام 1890م "، ولا يفوتنا أن نذكر: أن بروكلمان تميّز بوفرة إنتاجه الذي اتصف بالشمول والتنوع مما جعله مرجعا مهما في التاريخ الإسلامي والأدب العربي ، وله الكثير من المؤلفات والتراجم وتحقيق المخطوطات في المجال الأدبي، فعُدَّ كتابه الضخم (تاريخ الأدب العربي) بأجزائه الخمسة مرجعا لا غنى عنه لأيّ باحث ، ومن مؤلفاته : ترجمة كتاب ابن المقفع في

²⁹ عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين،، مرجع سابق ، ص 113، 114، 115.

مخلو في الزهرة

البيان والبلاغة وكتاب عيون الأخبار لابن قتيبة في أربعة أجزاء، ومختصر تاريخ الآداب العربية، واللغات المتشابهة في اللغات السامية"³⁰

كان بروكلمان يتناول بالتعليق ما يصدر عن الإسلام من مؤلفات كما أنه كتب الفصل الخامس بتاريخ الإسلام في كتاب تاريخ العالم الذي كان يشرف عليه يوليوس فون بفلوك وقد قدّم فيه عرضاً سريعاً لتاريخ الإسلام منذ البداية حتى العصر الحاضر ليعود بعد ذلك بخمس وعشرين عاماً إلى هذا الفصل فيعيد كتابته ويتوسع فيه، ويضيف إليه فصلاً طويلاً عن الأوضاع الجديدة للدول الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى، وقد واصل فيه العرض حتى بداية 1939م، وأصدر هذا كله في مجلد كبير بعنوان:

der völker und Staaten Geschichte وهذا الكتاب يعطي صورة شاملة لتاريخ الشعوب الإسلامية كلها منذ بداية الإسلام حتى عام 1939م، وعموماً هاته الجهود التي قام بها بروكلمان خلال دراساته الاستشرافية جعلت منه الرجل الموسوعي الأول في الاستشراق الألماني.

المستشرقين الألمان وكتاباتهم عن الجزائر:

اهتمّ الألمان أول الأمر بترجمة ما كتبه المؤلفون الأجانب حول الجزائر، مثل كتاب "رحلة في ولاية الجزائر" للرحالة الإنجليزي توماس شو سنة 1765، وكتاب "رحلة إلى سواحل البرابرة" للشاعر الإيطالي فيليبو بنانتي عام 1824، وكتاب رنودو سنة 1830م، وقد اهتموا بالكتابة حول مسألة الأسرى التي اتخذتها أوروبا ذريعة للاعتداء المتكرر على شواطئ شمال إفريقيا. إن جلّ ما كتبه الألمان كان عبارة عن دليلاً للمستوطنين الأوروبيين إلى المستعمرة الجزائرية

³⁰ زينب عبد الحسن الزهيري، تاريخ الاستشراق الألماني في القرنين التاسع عشر والعشرين، دراسة تاريخية، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بغداد (مركز إحياء التراث العلمي العربي)، ع: 09، 2012م، ص 160

تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر في كتابات المستشرقين الالمان

الخاضعة للاحتلال الفرنسي. فهم في الأغلب لهم رغبة في الهجرة إليها. وفيما يلي سنذكر اهم ما ذكره الرحالة الالمان عن الجزائر في كتاباتهم.³¹

1- فيلهلم شيمبر (1804م – 1878م) : Wilhelm Schimper

عالم نباتات ورحالة وباحث الماني وهو شقيق العالم النباتي المشهور كارل فريدريش ، اصدر كتاب بعنوان "رحلة فيلهيلم شيمبر إلى الجزائر في سنتي 1831 و1832"، والذي تم طبعه في شتوتغارت عام 1834، على إثر قيام شيمبر برحلة إلى الجزائر لجمع النباتات بتكليف من الجمعية النباتية، فاول ما لفت انتباهه هو الحماليين الجزائريين في ميناء الجزائر والطريقة الجيدة التي يتعاملون به في مع بعضهم البعض ، وقارنهم مع الحماليين في موانئ أوروبا حيث وصفهم بالجشع والغدر والكسل .

كما قال ان العاصمة سميت باسم الجزائر، لأن سهل متيجة تغمره الفيضانات في فصل الشتاء وتحوله إلى بحيرة كبيرة ، اما عدد سكانها فقال انه مائة ألف نسمة بالاضافة الى ان الحضر هم اهم عنصر – على حسب رايه- في المدينة وعددهم بين الثلاثين والاربعين الف ، وبنائاتها خمسة عشر ألف، ثم ذكر ان العربية والاسبانية والفرنسية والاطالية والألمانية والانجليزية والهولندية هي اللغات المستعملة فيها بالاضافة الى لغات أخرى. وكان شيمبر يكلف جارته الاسبانية بالذهاب إلى داخل بيوت الجزائريين لتعد له تقارير عن حياة الأسر وتصف له فيها ما يجري داخل البيوت، وقد مدح الأسرة الجزائرية ووصفها بأنها سعيدة رغم أنه عاب عليها العادة المتبعة التي تجعل من المرأة سجينه، زعمه.

اما فيما يخص التربية و التعليم فقد اشار شيمبر إلى أن الآباء يرسلون أبناءهم إلى المدارس في سن السادسة، ليحفظوا القرآن ويتعلموا الحساب

³¹ أبو العيد دودو ، الجزائر في مؤلفات الرحالين الالمان (1830-1855) ، دارالامة للنشرة التوزيع، الجزائر ، طبعة خاصة 2009م ص 9

مخلوف في الزهرة

والعلوم، ثم يواصلون دراستهم عند العلماء أو الفقهاء، أو يسافرون إلى مصر أو إلى تونس اما ليكملوا دراستهم ولتعلم الحرف وفنون التجارة ، أو إلى أوروبا ليدرسوا الطب. ويضيف إن الجزائريين يتحدثون الفرنسية بطلاقة وقلما يوجد عربي واحد في الجزائر لا يعرف القراءة والكتابة، وهم مثقفون ومتدينون، على عكس شعوب جنوب أوروبا التي قلما وجد فيها الرحالة من يعرف القراءة والكتابة.

تطرق شيمبر إلى المساجد، وقال إن أروع مسجد في الجزائر قد تم هدمه لتقام مقامه ساحة للاجتماعات، كما أصبحت الكثير من المساجد مخازن للتبن أو بنايات عسكرية. كما قام الفرنسيون بهدم العديد من الأضرحة العزيزة على قلوب الجزائريين كما دعى الى احترام قوانين الجزائريين ومعتقداتهم ليتمكن الأوروبيون من كسب ثقتهم. لم ينسى شيمبر التحدث عن الحمامات في الجزائر وعن الدور الذي ينسبه اليها الحضر في معالجة الكثير من الامراض .

يصف شيمبر المستوطنين الأوروبيين بأنهم مرتزقة وأشرار جشعون ومنهارون خلقياً. والتجار الأوروبيين لا أخلاق لهم وأنذلهم التجار اليهود الذين يصف محلاتهم بالقدارة عكس محلات العرب النظيفة والمنظمة. ويستنتج المؤلف بأن شيمبر تحدث عن أوضاع الجزائريين بعد الاحتلال من وجهة إنسانية، وكشف النقاب عن جرائم الغزاة، لكنه لم يعترض صراحة على احتلال الجزائر، رغم تحذيره لأبناء وطنه من الهجرة إليها حتى لا يشاركوا الأوروبيين فظائعهم و يصبحون أعداءً لشعب لم يسبق له أن أساء إليهم.³²

2- هرمان هاوف : Hermann Hauff

في سنة 1835 م اصدر هيرمان هاوف باشتراك مع ادوارد فيدرمان، كتاباً صغير الحجم ، بشتوتغارت، بعنوان "الجزائر كما هي"، ويتضمن الكتاب معلومات عامة وركّز المؤلف في دراسته لهذا النص على مقدمة الكتاب. ففي هذه المقدمة

³² المرجع نفسه ، ص ص 11 ، 12 ، 13 ، 14.

تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر في كتابات المستشرقين الألمان

لا يبدي الرحّالة إعجابه بغزو فرنسا للجزائر، هذا البلد الذي أرعب الشعوب التجارية في عرض البحر الأبيض المتوسط، لكن فرنسا تمكنت من احتلال هذه المنطقة التي يصفها الرحّالة بالجميلة. ويشكك الرحّالة في نوايا فرنسا الاستعمارية فيقول إن هدف حملتها على الجزائر لم تكن فقط وضع نهاية للقرصنة، بل إن هذه الحملة بدت في ظاهرها "عملاً إنسانياً وحضارياً"، وفي باطنها تغذية للأطماع الشخصية البعثة. ويقول الرحّالة بأن الجزائريين ظنوا أنهم بطردهم للأتراك سيصبح في مقدورهم أن يرفعوا رؤوسهم، غير أن فرنسا سرعان ما طلبت منهم الخضوع لها أيضاً. وقد عاود الجزائريون الحميم إلى العهد التركي الذي كان الأنسب لهم ولهذا دفع بهم حينهم إلى الهجرة إلى الشرق للالتحاق بالأتراك هناك، لكن المؤلف يقول إن الرحّالة هاوفاً أخطأ في رأيه هذا، فهجرة الجزائريين إلى الشرق كانت بسبب افتقارهم للتجربة ولتدريس الفرنسيين لأرضهم وليس بسبب الحنين للأتراك. وبالنسبة للمؤلف، تتجلى أهمية هذا الكتاب في أن الرحّالة هو الوحيد تقريباً الذي ناقش مسألة الأسباب التي ساقتها فرنسا لتبرير احتلالها للجزائر.³³

3- فرديناند فينكلمان Ferdinand Finkelmann

نشر كتابه "تاريخ احتلال الجزائر من طرف الفرنسيين سنة 1830" عام 1832 بمدينة ايلمنوا، تحدّث الرحّالة فينكلمان عن تاريخ الجزائر قبل احتلاله من طرف فرنسا، وعن تاريخها أثناء الاحتلال معتمداً على ما كتبه بفايفر. وعلى عكس شيمبر الذي حدّر مواطنيه من السفر إلى الجزائر، يلاحظ المؤلف بأن فنكلمان يلح على مواطنيه في السفر إلى الجزائر التي سحرته طبيعتها، وموقعها الجغرافي، لأنها مستعمرة رائعة بالنسبة للألمان. وقد دعّم مشروعه هذا زميله ماكس ماريا فراهير فون فيبر الذي نشر سنة 1854 كتاباً يشرح فيه مسالك

³³ المرجع نفسه، ص ص 27، 29.

مخلو في الزهرة

الهجرة إلى الجزائر. ورکز فنكلمان على البحث في مدى خصوبة أرض الجزائر ومدى تنوع منتجاتها الزراعية. ويشرح للقارئ الألماني زيادة في التشويق وجود مناطق خصبة مهمة في قسطنطينة وعنابة والجزائر. وقام بعقد مقارنة بين أمريكا والبرازيل التي يجد فيها المهاجر الألماني نفسه غريباً بينهم ومنبوذاً، أما في الجزائر، فالألمان تحت رعاية الفرنسيين الذين لا يسمحون للجزائري أن يعلو فوق رأس المستعمرين. ويستنتج المؤلف بأن فنكلمان يهمل بالأساس أن يعيش مواطنوه في بلاد تمنح الأرض منحاً.³⁴

4- لودفيغ بوفري

الف كتاباً بعنوان "مستقبل الجزائر في ظل السيادة الفرنسية" نشره سنة 1855م ببرلين. وأهداه إلى نابليون الثالث "إعجاباً بالحضارة الجديدة التي دخلت إفريقيا بفضل الفكر الجبار الذي يهب من فرنسا... وحلّت محل الحضارة القديمة.."، في زعمه. ويصف الأمير عبد القادر تماماً كمن سبقه بيوغرة، ويصفه بالبطل ويقول: "إن العقل الشرقي الذي يمتاز بخياله وشاعريته يحمل الشرقيين، وخصوصاً العرب، على تخليد أعمال أبطالهم وانتزاعها من الماضي"، وأن ذلك كفيل بتخليد بطولته، ما بقيت اللغة العربية حية خالدة وما بقي العرب يحتلون مكانهم بين أمم الكرة الأرضية.

ويؤكد أن الشعر الشعبي في الواقع ليس غريباً عن المواطنين، فكل إنسان منهم شاعر بالفطرة، وأشعارهم مرتجلة لكنهم يحفظون أيضاً أشعاراً عن الأجداد. ويدندن النساء بأغاني أثناء قيامهن بأعمال البيت، وهي مقاطع تلقي الضوء على خلق المرأة العربية، ويقول الرحالة إن في بعض أغانيهم رنة هجائية تفضح عيوب أرفع الناس قدراً لديهم بطريقة هزيلة. ويورد بعض هذه الأشعار التي يرى أهميتها في أنها تلقي الضوء على حياة العرب العائلية والنسائية. ويقول: "إن الإنسان حين

³⁴ المرجع نفسه ، ص 25، 26.

تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر في كتابات المستشرقين الالمان

ينظر إلى الأوضاع التي تعيش فيها الجزائر...، يظن أن سكانها أبعد الناس عن الشعر، ولكن الواقع خلاف ذلك." ويقترح جمع هذا النتاج الشعري ونشره بين الناس نظراً لأهميته وخطورته³⁵.

5 - كتاب صور شمسية جزائرية

نشره ادولف شترال في مدينة فيينا في سنة 1842م ،فقد نشر الرحالة النمساوي قصصاً وحكايات عن الجزائر، واتسم أسلوبه بالتوجه الرومانسي الذي ظهر في ذلك الوقت، كما صور بعض الشخصيات الجزائرية والأجنبية. ويقع كتابه في أربعة أقسام؛ ويحتوي القسم الأول على القصص التالية: انتقام الحضري، والتي تحكي غيرة الرجل الشرقي على نساءه ونتائج التصورات الخيالية عند الغربيين الذين يعلمون بعالم ألف ليلة وليلة. وقصة المعمر المخدوع، الذي تعرض للنصب والاحتيال، وقصة مغامرة خطيرة. و القسم الثاني يضم مجموعة من القصص، مثل قصة الساحرن وقصة صيد الضباع في نواحي الجزائر، وقصص في حسن الضيافة، وقصة اليهود في إفريقيا التي تصور لنا علاقات اليهود بسلطة الباي في تونس والداي بالجزائر وبايات وهران، خاصة معاملاتهم التجارية.

كما يضم القسم الثالث من هذا الكتاب نبذة عن تاريخ الجزائر، ثم ينتقل إلى موضوع النباتات بالجزائر، التي يصفها بمملكة النباتات، "ويمجد المؤلف في مقاله هذا خصوبة الجزائر وما تقدمه لأهلها من خير ونعمة وعطاء. ثم يحاول المؤلف إعطاء صورة عن الخدمات والصناعات المحلية والتحولت التي شهدتها بفعل احتكاك البلاد بالدخيل الأجنبي، من ذلك أنه "لا يوجد من يفوق الجزائري في تعاطيه للنبيذ، فهو لا ينقطع عن تناول الخمر إلا عندما يفقد الشرارة الأخيرة من وعيه". ويرسم صورة لبنايات الجزائر الجديدة وشوارعها التي "تجعل الإنسان يشعر بأنه يعيش في مدينة أوروبية ومنجزاتها بعد ثمان سنوات من الاحتلال".

³⁵ المرجع نفسه، ص ص 225، 226

مخلو في الزهرة

ويصف شترال حماماً حضرياً، وبعض مظاهر المرأة الجزائرية، وخروجها لحضور الحفلات الدينية يوم الأربعاء، أو لزيارة قبور الأولياء، وجوانب أخرى من شخصية المرأة العربية. ويعود شترال إلى تمجيد الطبيعة الجزائرية، فيصور سهل متيجة حزاماً فاخراً وبساطاً أخضر مزدهر بالعمران. ويصف الرحالة قبر الرّومية، وهو ضريح له أسطورة معروفة في البلاد.

اما في القسم الرابع والأخير يصف المؤلف بعض المدن الجزائرية، ويذكر بتاريخها وآثارها. ويقول المؤلف إن الرحالة قدم آراءه حول الجزائر بشكل عام، ولكنه قدم أفكاراً خاطئة كغيره، وقد يرجع ذلك إلى تأثره بالأفكار النمطية التي كانت تنشرها الدعاية الاستعمارية، أو إلى سطحية بعض ملاحظاته عن البلاد ونفسية سكانها.³⁶

6 – موريتس فاغنر Moritz Wagner

عالم طبيعيات زار الجزائر سنة م لفترة قصيرة 1835، ثم عاد إليها مرة أخرى في أكتوبر 1835م كمراقب وجامع لعناصر الطبيعة ، ألف كتاباً عن الجزائر سمّاه "رحلات في ولاية الجزائر في سنوات 1831، 1837 و1838"، يتكون كتابه من ثلاثة أجزاء وصف في الجزء الأول مدينة الجزائر والمدن الأخرى التي زارها، وفي الجزء الثاني تحدّث عن تاريخ الاحتلال والمعارك التي حضرها، وخصّص الجزء الثالث للحديث عن المجموعة الحيوانية الجزائرية، وساعده أخوه رودولف في كتابة الجزء الثالث. بدأ فيه بوصف ميناء الجزائر، فذكر أن وصول السفن إلى الميناء يعد عيداً بالنسبة للأهالي .

ويقول إن العاصمة تتكون من حي الأوربيين وحي العرب، وفيها مدرسة يتعلّم فيها التلاميذ الفرنسية والعربية، ومكتبة تحتوي على حوالي 600 كتاب، كما تتكون المدينة من الحضر واليهود وأجناس أخرى مختلفة من أهل البلاد.

³⁶ المرجع نفسه، ص ص 202، 203، 204، 205، 206، 207، 208، 209

تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر في كتابات المستشرقين الألمان

ويؤكد فاغنر ما ذهب إليه شيمبر من أن الفرنسيين هدموا الكثير من المساجد، وجعلت مساجد أخرى مخازن للتبن أو ثكنة عسكرية أو مسرحاً. يقول فاغنر: "هكذا اعتدت فرنسا على حرمان المسلمين، وذلك ما لن يغفره لهم الجزائريون ولن ينسوه أبداً". كما احتج فاغنر على قيام فرنسا بجرح مشاعر المسلمين، وذلك بفتحها للقبور والأضرحة الجميلة بحثاً عن الكنوز والآثار الجميلة وإمعاناً في إذلال الشعب الجزائري. ويتعجب فاغنر كيف استطاع هذا الشعب أن يتعدى على قداسة الآثار القديمة كأعمدة المعابد المرمية ونزع نقوشها. وانتقل الرحالة فاغنر إلى وصف الحرب، كما أبدى فاغنر أيضاً إنسانية كبيرة تجاه نفائس الكتب التي سلبها الفرنسيون، وذكّره ذلك بما فعله الفرنسيون بكتب شيللر في ألمانيا، كما أن الكتب بالجزائر نادرة، ولهذا فهي نفيسة، وقلّما تجد عند العائلة أكثر من كتاب واحد..

وينتقد فاغنر في مقدمة كتابه الرحالة كامبل الذي يقول عنه إنه شاعر ناجح ورحالة فاشل، ووصف رسائله بأنها عبارة عن انطباعات سائح عادية، كما وصف الأمير بوككر موسكاو بدقة الملاحظة وظرافة النكتة لكنه لم ينجح في فهم حياة الجزائريين وكتابه سطحي. و فاغنر على حق، فكتاب بوككلار موسكاو "سيميلسو في إفريقيا" لا يحتوي على معلومات جديرة بالاهتمام، وقد اهتم الأمير أكثر بالتنوع الطبيعي في الجزائر، كما نقل بعض الرسائل التي من بينها رسالة الأمير عبد القادر إلى الجنرال الفرنسي الذي يهدده فيها بالحرب، حيث يحذره الأمير عبد القادر بأن البدوي "لا صنعة له غير الحرب وأنه في انتظار مرتزقته في أي وقت كان". ويدافع العسكري الألماني كارل ديكر عن فاغنر الذي أهدى كتابه إلى ولي عهد فرنسا، ويصف كتابه بأنه أحسن كتاب ألماني وضع عن الجزائر حتى سنة صدور كتابه هو سنة 1844. وقام في نهاية كتابه بإيراد ترجمة مختصرة لشخصيات جزائرية مثل

مخلو في الزهرة

أحمد باي وفرحات بن سعيد والميلود بن عراش، وأطول هذه الترجمات هي ترجمة الأمير.

يعترف فاغنر بأن توصيات المسؤولين لا تنفع مع العرب الذين يرون في كل الأجانب جواسيس لفرنسا، وهم لا يثقون في أحد، وهو نفسه شعر بالخوف من أحد مرافقيه فقط لأنه أدّى الصلاة. وينقل فاغنر في كتابه مقابلة بين الجنرال بيجو والأمير عبد القادر، والتي نقلها الرحّالة عن النقيب السويسري فون مورالت. ويقول المؤلف إن الاطلاع على هذه المقابلة من مصادر أخرى يجنب القارئ المغالطات التي وقعت فيها الرواية الفرنسية لقصة اللقاء. وكان مالتسان المستشرق الألماني والرحّالة قد زار الأمير مرات عديدة، ونقل عنه حبّه لنابليون: "السلطان نابليون رجل الفرنسيون الآخرون كلاب". ويقدم فاغنر هنا ترجمة مطوّلة عن الأمير عبد القادر، الذي وصفه بالقوة والفروسية والشجاعة والتدين والورع، وكان قد أجاب على رسالة تهديد من المارشال كلوزيل بعد الاستيلاء على تلمسان، قائلاً: "...فإذا كان السمك صاحب البحر، فإن العربي سيظل كذلك صاحب البادية."

نقل فاغنر في كتبه الثلاثة صورا عن المجتمع الجزائري، ، حيث تحدث الرحّالة عن القضاء

و المحكمة العسكرية الفرنسية ثم المحكمة الشرعية الإسلامية التي تتشكل من قاض مالكي وقاض حنفي. ويصف فاغنر الشعور الإنساني بالعميق والقوي لفرنسا التي حاولت منع عقوبة الفلقة التي يفضلها الجزائريون على السجن. وهو تصور يدل على مدى ثقافة فرنسا، لكن الجزائري يحس بالعار إذا دخل السجن، لكن الفلقة لا تشعره به.

ويقارن فاغنر أسواق الجزائر الصغيرة والفقيرة بأسواق بغداد والقسطنطينية وطهران الكبيرة. ويكتري التاجر الأجنبي أو الجزائري واليهودي في

تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر في كتابات المستشرقين الألمان

السوق محلاً يعرض فيه تجارته، لكن التجارة لم تكن يوماً مربحة أو مزدهرة في الجزائر. أما دكاكين التجار المحليين فهي أكثر بؤساً. وبضائعها على العموم عبارة عن منتجات يدوية ومحلية. فقد قضى الفرنسيون على الأسواق الجميلة وأقاموا مكانها دكاكين ومخازن أوروبية. إضافة إلى الروائح والعطور والمصنوعات القطنية، وهي مصنوعات لا تضاهي جمال البضائع الأوروبية. وتتكون سلع العرب من محافظ النقود والعطور والمصنوعات الحيرية المصنوعة يدوياً.

يقول فاغنر إن عدد المساجد بالعاصمة 39 مسجداً، وتكون مكتظة بالمصلين. وكان فاغنر يحضر الصلاة، ويبرر سلوكه هذا "بالفضول، تلك الرغبة الخاصة بنا نحن الألمان في مشاهدة المناظر الغامضة"، وكانت صلاة الجماعة التي يشارك فيها غامضة بالنسبة إليه. وعلى عكس ما قاله جل الرحّالة، فإن فاغنر يقول إن المسلمين لا يمنعون أحداً من دخول مساجدهم³⁷.

7 - كليمانس لافبينغ

كليمانس لافبينغ كان ضابط في جيش إمارة أولدنبورغ الألمانية ، التحق بالفرقة الأجنبية بالجزائر سنة 1839 م و قبل أن يعود إلى وطنه ألف كتاباً بعنوان "ذكريات من الجزائر" نشره سنة 1844 م بمدينة أولدنبيرغ.

اهتم الرحّالة بعلاقاته بالمواطنين حيث حرص على الجلوس في المقاهي العربية بالقلعة ووصف سكّانها بالعرب الأصلاء، ولم يجد ألطف ولا أكثر إنسانية منهم في الجزائر ووهران. ويذكر بأن اختلاط السكان الأصليين بالفرنسيين قضى على بعض طبائعهم الحميدة. ويذكر أيضاً بأن الإسبانية منتشرة بكثرة.

يصف العرب بأنهم ذو طبيعة متناقضة ، تجمع بين الشدة والحلم، القسوة والشهامة، الجشع والكرم لذا لا يجب اخضاع هذه الطبائع لمقاييس أوروبية ، كما قال انهم محبوبون للشعر والموسيقى، ولا يخلو مقهى واحد من مغن

³⁷ المرجع نفسه، ص 85، 86، 87، 88، 90، 91، 92، 93، 99

مخلو في الزهرة

وقصّاص.. ويصف شجاعة العربي حين يقارن بين الأمير عبد القادر في شجاعته وانتصاراته وخطره على الفرنسيين ببوغرطة الذي يعد في ذاكرة الشعب الجزائري رمزاً لمكافحة الاستعمار، ويبيدي تخوفه من أن يتعرض الأمير لما تعرض له يوغرطة من خيانة من أتباعه.³⁸

الخاتمة :

تمثل النصوص والكتابات الرحلية مادة تاريخية مهمة، فهي توثق الاحداث والوقائع من زاوية تختلف عن الرواية التاريخية، لهذا تتجلى أهميتها في أنها تعيد تركيب الوقائع التي تنعدم فيه الرواية أو تكون مادة يعرف بها المؤرخ أحوال منطقة أو شخصية من منظور مخالف كما تعد النصوص الرحلية ميدانا خصبا لتجسيد صورة الشعوب بمختلف مكوناتها الحضارية و التاريخية... لما تقدمه من رؤى متنوعة عن تمثيلات الآخر، حيث قدمت صورة شاملة متعددة السياقات عن الجزائر في فترة مهمة من تاريخها ؛ بحيث تميزت تلك الفترة بالهيمنة الجزائرية على البحر الأبيض المتوسط. ومن خلال ما سبق ذكره نرى ان الرحالة الألمان لم يخفوا إعجابهم بأخلاق الجزائري التي استمدتها من الدين الإسلامي كما عبروا أيضا عن استغرابهم من بعض العادات والتقاليد على غرار المعاملة الحسنة للأسرى و غياب المرأة الجزائرية عن الحياة العامة ، فقد جسدت هذه الرحلات الواقع الجزائري الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي .

³⁸ المرجع نفسه، ص ص 219، 220، 222